الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لفضيلة الشيخ

خالد بن عبدالله المصلح

الدرس الثامن عشر

www.almosleh.com

وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً، ولهٰذا تاب منه خيار من حضره منهم، ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال وَلاية الله كان نصيب الشيطان فيه أكثر، وهو بمترلة الخمر، بل هو يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر، ولهٰذا إذا قويت سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين، وتكلّمت على ألسنة بعضهم، وحملت بعضهم في الهواء، وقد تحصل بينهم عداوة كما تحصل بين شرّاب الخمر، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه، ويظن الجهال أن هٰذا من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هٰذا مبعد لصاحبه عن الله، وهو من أحوال الشياطين، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما أحله الله، فكيف يكون قتل المعصوم الدم مما يكرم الله به أولياءه؟ وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقرِّبه إليه، ويرفع به درجته[1]، وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم كالمكاشفات، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك كالتصرفات الخارقة للعادات، ومنها ما هو من جنس الغنى، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر من العلم والسلطان والمال والغنى.[2]

([1]) هـٰذا الكلام يكتب بماء الذهب، إنما غاية الكرامة يعني منتهى الإكرام من الله لعبده لزوم الاستقامة؛ أن يوفقه إلىٰ لزوم الاستقامة.

بخلاف ما يظنه هٰؤلاء من أنه لا تكون كرامة إلا بالخروج عن المألوف والمعتاد مما يكون على أيدي هٰؤلاء، فلم يكرم الله عبداً بمثل أن يعنيه على فعل ما يحبه ويرضاه ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته؛ لأن هـٰذا الكرامة الباقية التي ينتفع بها العبد في دنياه وآخرته:

في دنياه بأن يدوق طعم الإيمان.

وفي آخرته بأن ترتفع درجته عند ربه ويختم بالأعمال الصالحات.

فمهما جرى على يديه من الكرامات التي تخرج عن المعتاد إذا لم تكن تلك الكرامات معينة على الطاعة فإنها من حظوظ الدنيا التي تنتهي بانتهائها.

([2]) هـٰذه أقسام الكرامات التي يجريها الله –عز وجل– لأوليائه الصالحين وعباده:

الأول: ما هو من جنس العلم، يعني الكرامة من جنس العلم، قال: (كالمكاشفات) وهي ما يفتحه الله –عز وجل– على العبد من العلوم والمعارف التي لا يدركها الإنسان بالأسباب المعتادة؛ بل لا يدركها إلا بفضل الله ورحمته، وأكبر مثال لهٰذا هو علم شيخ الإسلام، فإن علم الشيخ –رحمه الله– كرامة؛ لأنه علم لا يتصور في العادة أن يحصله شخص وأن يصل إليه شخص بجهده وكده مهما بلغ، ولذلك تميز الشيخ –رحمه الله– بما فتح الله عليه من =

وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هٰذه الأمور وغيرها إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ويقربه إليه ويرفع درجته، ويأمره الله به ورسوله، ازداد بذلك رفعة وقرباً إلى الله ورسوله، وعلت درجته، وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش، استحق بذلك الذم والعقاب، فإن لم يتداركه الله تعالىٰ بتوبة أو حسنات ماحية، وإلا كان كأمثاله من المذنبين، ولهٰذا كثيراً ما يعاقب أصحاب

=

المعارف على شتى أنواعها واختلاف صنوفها تميزاً واضحاً، فهو في الفقه إمام، في العقيدة إمام، في الحديث إمام، في التفسير إمام، في الرد على المخالفين إمام، في العمل بالسنة إمام، في الجهاد إمام؛ يعني من أين أتيته أو من حيث ما جئت إليه وجدته السابق -رحمه الله- ورضي عنه وجمعنا به في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهٰذا مثال لهٰذا النوع من الكرامات، وهو أعلى من غيره -والعلم عند الله-؛ لأنه هو الذي كان كثيراً في الصحابة؛ لأنه أعلى من غيره من أنواع الكرامات.

وإن كان الكشف فيه والخارق غير محسوس، يعني لا يدركه كل أحد؛ بل لا يدركه إلا الذين يميزون بين مراتب خرق العادة.

أما القسم الثاني والثالث فهما موجودان كثيراً في التابعين ومن بعدهم، وهما دون القسم الأول في الدرجة والمنزلة.

ومنها ما هو من جنس القدرة والملك كالتصرّفات الخارقة للعادة، مثل ما جرى من سير بعض الصحابة على البحر، ومثل ما ذلله الله -عز وجل- لهم من الهوام والدواب والسباع وما أشبه ذلك.

ومنها ما هو من جنس الغنى، يحصل للإنسان غنى عن ما جرت العادة بالحاجة إليه، كتلك التي عطشت فسقيت فلم تعطش بعد ذلك أبداً، فهٰذا من جنس الغنى أي يحصل للعبد غنى يخرج عن المعتاد، إما عن طعام أو عن شراب أو عن نوم أو ما أشبه ذلك من حوائج الإنسان، وهٰذا كالذي قبله لأنه من جنس القدرة والملك؛ لكن هناك الكرامة في شيء يحصل للإنسان وفي القسم الثاني الكرامة في شيء يستغني عنه الإنسان ولا يحتاج إليه، فهناك كرامة إيجابية، يعني يحصل بها أمر حسي موجود، وهنا كرامة سلبية، بمعنى أنه يكتفي عن حوائج معتادة، وكلا الأمرين كرامة؛ لأنه خارق للعادة.

وكون الإنسان ما يشرب وهو لا يحتاج إلىٰ الشراب هٰذا خارج عن المعتاد، كونه لا ينام أيضاً خارج عن المعتاد، كون الإنسان أيضاً لا يأكل ولا يطعم هٰذا خارج عن المعتاد، وقد جرى جميع هٰذه الأنواع للنبي ﷺ.

فمن شواهد الأخير هٰذا قول النبي ﷺ لما سئل عن الوصال قال: ((**إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**)). فكان يصل اليوم واليومين والثلاثة ﷺ لا يأكل ولا يشرب، فهو من هٰذا الجنس.

وأما الجنس الثاني فهو كثير، وأما الجنس الأول فقد تحقق له منه ما لم يتحقق لغيره صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الخوارق تارة بسلبها كما يعزل الملك عن ملكه، ويُسْلَب العالِمُ علمَه، وتارة بسلب التطوعات فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة[1]، وتارة يترل إلى درجة الفساق، وتارة يرتد عن الإسلام، وهٰذا يكون فيمن له خوارق شيطانية، فإن كثيراً من هؤلاء يرتد عن الإسلام، وكثير منهم لا يعرف أن هٰذه من الشياطين؛ بل يظنها من كرامات أولياء الله، ويظن من يظن منهم أن الله –عز وجل- إذا أعطى عبداً خرْق عادة لم يحاسبه على ذلك، كمن ظن أن الله إذا أعطى عبداً ملكاً ومالاً وتصرفاً لم يحاسبه عليه.

ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمورٍ بها ولا منهيٍّ عنها، فهٰذا يكون من عموم الأولياء، وهم الأبرار المقتصدون، وأما السّابقون المقربون فأعلى من هؤلاء، كما أنّ العبد الرسول أعلى من النبي الملك.

ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك، ويستغفر الله تعالىٰ كما يتوب من الذنوب كالزنى والسرقة، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ولا يجعلها همته، ولا يتبجّح بها، مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تُغويهم بها؟ فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها[2]، ومنهم من يخاطبهم الحجر والشجر، وتقول: هنيئاً لك يا ولي

---

(1) شاهد هٰذا (**فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة**) قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: ((**يا عبد الله لا تكن كفلان: كان يقوم الليل فترك قيام الليل**))، هٰذا نقل من الولاية الخاصة إلىٰ الولاية العامة، وهٰذا لا نشعره للأسف، قد يعاقب الإنسان بمنع الحسن بعدم توفيقه إلىٰ الطاعة، ولا يلزم في العقوبة أن تكون مصيبة تترل به، أو فقد ما يحب من متاع الدنيا؛ بل قد تكون العقوبة فقد أمر من أمور الشرع، من حلاوة الإيمان واستقرار فؤاد، وزيادة يقين وعمل بالصالحات، وهٰذه الأمور ما يحس بها كثير من الناس، ومن الحرمان ألا يربط الإنسان بين السيئة وعقوبتها، فإن هذا يحرم الإنسان خيراً كثيراً، بخلاف من ربط بين سيئاته وما يصيبه فإنه يكون على يقظة تامة، واذكر ما كانت تفعله وتقوله أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْها لما كان يصيبها ما يصيبها من ألم في رأسها كانت تقول: وا رأساه وما يعفو الله عنه أعظم. فتقرن بين ما يصيبها من ألم الرأس وما كانت قد اكتسبته أو وقع منها من الآثام وتقول: (وما يعفو الله عنه أعظم). يعني هٰذا الألم إنما هو بسبب المعاصي وما يعفو الله عنه وما يتجاوز عنه أعظم من ذلك، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى:٣٠]، يعفو عن كثير جل وعلا، فما يصيبنا مما نكره قليل من كثير، نسأل الله أن يعاملنا بعفوه. آمين.

(2) يعني تقول له: أنا مفيدة لكذا وكذا من الأمراض والمكاسب في البدن، عجيب.

الله، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، ومنهم من يقصد صيد الطيور فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بمثل ذلك[١]، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح، وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة، وتُريه أنواراً أو تحضر عنده من يطلبه، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله.

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له: أنا من أمر الله، ويعده بأنه المهدي الذي بشّر به النبي ﷺ، ويظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء أو المواشي، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يميناً وشمالاً ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر، وتحمله إلى مكة وتأتي به، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة وتقول له: هٰذه الملائكة الكروبيون[٢] أرادوا زيارتك، فيقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان؟ فيرفع رأسه فيجدهم بلحى، ويقول له: علامة أنّك المهدي أن تنبت في جسدك شامة فتنبت ويراها، وغير ذلك، وكلّه من مكر الشيطان.

وهٰذا باب لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير، وقد قال تعالىٰ: ﴿**فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ(١٥)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ**﴾[الفجر:١٥-١٦] قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿**كَلاَّ**﴾[الفجر:١٧] ولفظة ﴿**كَلاَّ**﴾ فيها زجر وتنبيه؛ زجر عن مثل هٰذا القول، وتنبيه على ما يخبر به ويأمر به بعده، وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة يكون الله –عز وجل– مكرماً له بها، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهيناً له

---

(١) هـٰذا يفسر لنا قول الشيخ–رحمه الله–: (**كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك، ويستغفر الله تعالى كما يتوب من الذنوب كالزنى والسرقة، وتعرض علىٰ بعضهم فيسأل الله زوالها**) لأنه يا إخواني فيه فتنة عظيمة؛ يعني لو أن أحدنا يجري له مثل هـٰذا كان الله المستعان، يمكن ما يمشي على الأرض، فتنة عظيمة أن تخاطبك هـٰذه الأشياء، لا سيّما إذا كان الإنسان قليل العلم، وهٰذا يجري في الغالب لكثيري العبادة قليل العلم، فيحصل له به فتنة كبيرة، ولذلك سؤالهم أن تزول عنهم هـٰذه الأشياء إنما هو فرارا من الفتنة، والفرار من الفتن أصل من أصول الدين، ولذلك قال النبي ﷺ: ((**خير مال المسلم في آخر الزمان غنم يتبع بها شعف الجبال بفر بدينه**))، فالفرار من الفتن مقصد؛ بل هو من الأصول التي ينبغي للمؤمن أن يستصحبها حتى يسلم له دينه.

(٢) وهم أعلى جماعات الملائكة عليهم السلام، فيأتونه بأعلى جماعات الملائكة في زعمهم حتى يفتنوه.

بذلك، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسّراء والضراء، فقد يعطي النعم الدنيوية لمن لا يحبه ولا هو كريمٌ عنده ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده أو يقع بسببها فيما يكرهه منه.(١)

وأيضاً كرامات الأولياء، لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله، لا من كرامات أولياء الله، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء، وإنما تحصل بالشرك مثل دعاء الميت والغائب، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات والخبائث مثل الحيات والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات، ومثل الغناء والرقص لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان، فيرقص ليلاً طويلاً وإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً أو ينقر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه أو يتكلفه، ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده، ويحب سماع المكاء والتصدية، ويجد عنده مواجيد، فهٰذه أحوال شيطانية، وهو ممن يتناوله قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرحمٰن نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[الزخرف:٣٦]، فالقرآن هو ذكر الرحمٰن، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا(١٢٥)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[طه:١٢٤-١٢٦]؛ يعني تركتَ العمل بها(٢)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفّل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هٰذه الآية.(٣)

---

(١) ولذلك لا أكمل للعبد من أن يرضى بالله –عز وجل– ربّاً وبنبيه ﷺ رسولاً وبدينه ديناً، وفإن ذلك مما يقنعه. والمقصود الرضا به ربّاً لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يقدم لعبده إلا الخير، فإذا رضي بتصريفه وتدبيره وأنه لا يقدم له إلا ما يصلحه، علم أن ما أتاه هو الخير، وأن ما صرفه عنه هو الشر، وأنه لا خير له في غير ما يسّره الله له فإذا بذلك يسره.

(٢) لأن النسيان هو الترك، فنسيتها أي تركت العمل بها، فالنسيان يطلق على الترك ومنه قوله تعالىٰ: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة:٦٧]، فنسيان الله ليس بمعنى أنه غاب عنه حالهم، تعالىٰ الله عن ذلك؛ فإن الله لا يضل ولا ينسى جل وعلا، إنما تركهم جزاء على ما تركوا من شرعه ودينه.

(٣) والله لا يخلف الميعاد، من عمل بالقرآن وأقبل عليه فإنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

=

فصـــــــــــــل

ومما يجب أن يُعلم أن الله بعث محمداً ﷺ إلى جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسي ولا جني إلاّ ويجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه، فعليه أن يصدّقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر، سواء كان إنسيّاً أو جنيّاً.

ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين، وقد استمعت الجنّ القرآن وولوا إلى قومهم منذرين، لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة، لما رجع من الطائف، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُنذِرِينَ(٢٩)قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ(٣٠)يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(٣١)وَمَن لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[الأحقاف:٢٩-٣٢]،[1] وأنزل الله تعالىٰ بعد ذلك: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(١)يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا(٢)وَأَنَّهُ تعالىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا(٣)وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ

=

وما ذكره من أحوال هٰؤلاء المفتونين بالأحوال الشيطانية قد يستغربه من لا يدرك أحوال الطوائف الصوفية حتى في زماننا هـٰذا، فإنهم على هـٰذا سائرون، فهم ينشطون في مجالات الرقص والغناء والاجتماع بالنسوان وما أشبه ذلك مما يفعلونه، وإذا جاء ذكر الله وذكر القرآن وذكر العلم خملوا وكانوا في أخريات القوم.

ومن له معرفة بحال هٰؤلاء يدرك أن ما ذكره الشيخ-رحمه الله- مطابق للواقع تماماً ليس فيه غلو ولا زيادة ولا مبالغة.

(1) قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ﴾[الأحقاف:٣٢] هـٰذا دليل على أن النبي ﷺ مبعوث إلىٰ الجن، وأن من لم يتبعه منهم فإنه كافر معاقب، الآيات كلها تدل على أن النبي ﷺ مرسل إلىٰ الجن؛ ولكن في قوله: ﴿ وَمَن لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٢)﴾[الأحقاف:٣٢]، والتي قبلها في قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)﴾[الأحقاف:٣١] دليل على أن الجن إن لم يتّبعوا النبي ﷺ فإنهم كفار، فهـٰذا دليل عموم رسالته ﷺ للجن.

شَطَطًا(٤)وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا(٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن:١-٦] أي السفيه منا في أظهر أقوال العلماء، وقال غير واحد من السلف: كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ بعظيم هٰذا الوادي من شر سفهاء قومه. فلما استغاثت الإنس بالجن ازدادت الجن طغياناً وكفراً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا(٦)وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا(٧)وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[الجن:٦-٨]، وكانت الشياطين تُرمى بالشهب قبل أن يترل القرآن، لكن كانوا أحياناً يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم، فلما بُعث محمد ﷺ ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً، وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسمعوا كما قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾[الجن:٩] وقال تعالىٰ في الآية الأخرى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ(٢١٠)وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ(٢١١)إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[الشعراء:٢١٠-٢١٢] قالوا: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا(١٠)وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[الجن:١٠-١١] أي على مذاهب شتى، كما قال العلماء: منهم المسلم والمشرك واليهودي والنصراني والسّني والبدعي ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَن نُعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾[الجن:١٢]، أخبروا أنهم لا يعجزونه لا إن أقاموا في الأرض ولا إن هربوا منه ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا(١٣)وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾[الجن:١٣-١٤] أي الظالمون، يقال: أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار وظلم، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا(١٤)وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا(١٥) وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(١٦)لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا(١٧)وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(١٨)وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا(١٩)قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا(٢٠)قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا(٢١)قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[الجن:١٤-٢٢] أي ملجأً ومعاذاً ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا(٢٣)حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾[الجن:٢٣-٢٤]، ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به، وهم جن نصيبين، كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث ابن مسعود – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-. وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمٰن وكان إذا قال: ﴿فَبِأَيِّ

﴿آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[(١)] قالوا: ولا بشيء من آلائكَ ربنا نكذب، فلك الحمد، ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابهم، فقال: ((**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم**)) قال النبي ﷺ: ((**فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن**)). وهذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك، وقالوا: فإذا منع الاستنجاء بما أعد للجن ولدوابهم فما أعد للإنس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى.[(٢)]

ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الإنس والجن، وهذا أعظم قدراً عند الله تعالى من كون الجن سخروا لسليمان عليه السلام، فإنهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك، ومحمد ﷺ أُرسل إليهم يأمرهم بما أمر الله به؛ لأنه عبد الله ورسوله، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبي الملك.[(٣)]

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع، وأما مؤمنوهم فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة، وجمهور العلماء على أن الرسل من الإنس ولم يبعث من الجن رسول، لكن منهم النذر، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر.

والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال:

- فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه، ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونوابه.
- ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له[(١)] فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهذا إذا كان يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حُرّم عليهم، ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمنزلة

---

(١) آية مكررة في سورة الرحمن ٣١ مرة. [المفرغ]

(٢) يعني أشد حرمة، حرمة الإنس ودوابهم أشد من حرمة الجن ودوابهم، فلا يجوز الاستنجاء بشيء من طعام بني آدم ولا بشيء من طعام بهائمهم كالبرسيم والحشيش وما أشبه ذلك. نعم.

(٣) فرسول الله ﷺ يتصرف فيهم بالشرع والدين، وسليمان عليه السلام يتصرف فيهم بحكم الملك، وشتان بين التصرفين: تصرف النبي ﷺ أعظم وأنفع لهم ولعموم الخلق، وتصرف سليمان عليه السلام نفعه عائد إليه في تقوية ملكه وتحصيل مطلوبه؛ ولكن هذا لا يعارض قول سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾[ص:٣٥]؛ لأن ما سأله لم يمكن منه أحد وهو التسخير في الملك، فإن النبي ﷺ لما تمكن من الشيطان الذي عرض له في صلاته فذاعه ﷺ حتى وجد برد لعابه بين أصابعه، تركه لما تذكر دعوة سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾[ص:٣٥].

الملوك الذين يفعلون مثل ذلك[٢]، وهٰذا إذا قُدّر أنه من أولياء الله تعالى، فغايته أن يكون في عموم أولياء الله تَعَالَىٰ، مثل النبي الملك مع العبد الرسول؛ كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

♦ ومن كان يستعمل الجن فيما نهى الله عنه ورسوله: إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليه بغير القتل كتمريضه وإنسائه العلم وذكر الله، وغير ذلك من ظلمه، وإما في فاحشة كجلب من يطلب فيه الفاحشة، فهٰذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص، إما فاسق وإما مذنب غير فاسق.[٣]

♦ وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات مثل أن يستعين بهم أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، أو أن يحملوه من مدينة إلى مدينة ونحو ذلك، فهٰذا مغرور قد مكروا به، وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات، وليس عنده من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرّق به بين الكرامات الرحمانية وبين التلبيسات الشيطانية، فيمكرون به بحسب اعتقاده، فإن كان مشركاً يعبد الكواكب أو الأوثان أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة، ويكون قصده

=

(١) هـٰذه المرتبة الثانية، المرتبة الأولى من يأمرهم بطاعة الله والرسول، المرتبة الثانية من يستعملهم في الأمور المباحة.

(٢) وهٰذا القسم في الحقيقة لا يخلو من حالين:

إما أن يكون بسعي وطلب من الإنسان فهـٰذا لا يجوز؛ لأنه داخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن:٦].

القسم الثاني أن يكون بمبادرة ومبادأة من الجن دون طلب، فهٰذا جائز ولا حرج على الإنسان، مع أنه يجب عليه أن يحترس لئلا يكون ذلك استدراجاً منهم إلىٰ الوقوع في الشرك، وما أشبه ذلك.

(٣) على كل حال رأي الشيخ –رحمه الله– في الاستعانة بالجن واضح وهو أنه يجوز الاستعانة بهم في الأمور المباحات على أن لا تكون وسيلة ذلك محرمة؛ يعني بشرط أن لا يتوصّل إلى الاستعانة بهم من طريق أو بطريق محرم.

والقول الثاني هو الذي فصلنا فيه، وهو التفريق بين أن تكون الإعانة معروضة وبين أن تكون الإعانة مسؤولة، فإذا كانت الإعانة مسؤولة فإنها لا تجوز ولو كان الطريق مباحاً؛ لأنه لا طريق مباحاً في الاستعانة بهم: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)﴾[الجن:٦].

الاستشفاع والتوسل لمن صوّر ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح، فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان. قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ(٤٠)قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ﴾[سبأ:٤٠-٤١]. ولهٰذا لما كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له، ولهٰذا يتمثّل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون، فإن كان نصرانيّاً واستغاث بجرجس أو غيره جاء الشيطان في صورة جُرجس أو من يستغيث به، وإن كان منتسباً إلى الإسلام وقد استغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين، جاء في صورة ذلك الشيخ، وإن كان من مشركي الهند جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك، ثم إن الشيخ المستغاث به إن كان ممن له خبرة بالشريعة لم يعرّفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له أخبره بأقوالهم ونقل أقوالهم له، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم، وإنما هو بتوسط الشيطان.

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هٰذا بصورة مكاشفة ومخاطبة؛ فقال: يريني الجن شيئاً براقاً مثل الماء والزجاج، ويمثلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به، قال: فأُخبر الناس به، ويوصلون إلي كلام من استغاث بي من أصحابي، فأجيبه فيوصلون جوابي إليه.

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هٰذه الخوارق إذا كذّب بها من لم يعرفها، وقال: إنكم تفعلون هٰذا بطريقة الحيلة، كمن يدخل النار بحجر الطلق، وقشور النارنج، ودهن الضفادع، وغير ذلك من الحيل الطبيعية، يتعجب هؤلاء المشايخ ويقولون: نحن والله لا نعرف شيئاً من هٰذه الحيل، فلما ذكر لهم الخبير أنكم صادقون في ذلك، ولكن هٰذه أحوال شيطانية أقروا بذلك، وتاب منهم من تاب الله عليه، لما تبين لهم الحق، وتبين لهم من وجوه كثيرة أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله ولرسوله، فلا تحصل عند ما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية، فعلموا حينئذ أنها من مخارق الشيطان لأوليائه، لا من كرامات الرحمٰن لأوليائه.

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه، صلاة وسلاماً نستوجب بهما شفاعته. آمين [1].

(1) آمين، اللهم لك الحمد....